علاقة الأدب بعلم النفس عند العرب ودورها في النهضة الأدبية

عفاف بسطي

[1]المدرسة العليا للأساتذة الفريق المجاهد أحمد قايد صالح بوسعادة (الجزائر)

The relationship between literature and psychology in the Arab world and its role in the literary renaissance

Dr. Afaf BASTI

https://orcid.org/0009-0006-5995-7677

Higher School of Teachers, Mujahid Lieutenant general Ahmed Gaïd Salah, Bousaada (Algeria)

basti.afaf@ens-bousaada.dz

تاريخ الاستلام: 08 / 04 /2025 تاريخ القبول: 04 / 05 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 09 / 2025

الملخص:

يُعد الحديث عن علمين منفصلين كل علم بتاريخه وأصوله ومبادئه، لأمر ناقشته كتب ودراسات عدة لا تعد ولا تحصى، ولكن الحديث عن علاقة هذين العلمين وأثرهما في النهضة الأدبية لأمر يدعو للبحث والنقاش، وهذا ما نسعى إليه وما ستحمله طيات بحثنا، ومن خلال الإجابة عن تساؤلات من أهمها، فيما تكمن علاقة الأدب بعلم النفس؟ وهل يمكن أن يجتمعا؟ وهل كان أو يوجد هذا عند العرب؟ وما دور هذه العلاقة في النهضة الأدبية؟

وقد توصلنا إلى نتائج عدة أهمها: العرب اهتموا منذ القديم إلى العصر الحديث بالدراسات النفسية، ولقد لعبت هذه الدراسة أهمية كبيرة في النهضة الأدبية العربية.

كلمات مفتاحية: الأدب،. علم النفس،. العرب، النهضة،. علم.

Abstract:

The discussion of two separate sciences, each with its history, origins, and principles, is a matter that has been addressed by countless books and studies. However, the discussion of the relationship between these two sciences and their impact on the literary renaissance is something that calls for research and discussion. This is what we aim for and what our study seeks to explore, by answering key questions, including: What is the relationship between literature and psychology? Can they merge? Was this ever present among the Arabs? And what role does this relationship play in the literary renaissance?

We have reached several conclusions, the most important of which are: Arabs have been interested in psychological studies from ancient times to the modern era, and this study has played a significant role in the Arab literary renaissance.

Keywords : Literature; Psychology ; Arabs; Renaissance ; Science.

مقدمة:

إن المتمعن في الدراسات الأدبية النفسية، أو النفسية الأدبية على السواء سيجد ارتباطا وثيقا بين العلمين علم النفس والأدب، وهناك من ربطهما في علم واحد نحو علم النفس الأدبي أو علم نفس الأدب، غير أن الشاغل الذي يراودنا هل هذه الدراسات كانت موجودة عند العرب؟ وهل هي بمسمياتها الحالية؟ وهل نستطيع القول بأنهم مازالوا يشغلون بها؟ وهل اهتموا بها؟ وكيف لعبت هذه الدراسات في النهضة الأدبية؟ وهل هو أمر مستحدث وجديد عند العرب؟

كل هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عليها من خلال ورقتنا البحثية؛ وهذا عن طريق التعريف ب علاقة الأدب بعلم النفس ثم التطرق دراسة علاقة الأدب بعلم النفس عند العرب القدامى ثم المحدثين ودورها في النهضة الأدبية.

لا يخفى على أحد أن الأدب هو " مظهر من مظاهر الجانب النفسي من حياة الإنسان، هو التعبير عن حركة النفس والكشف عن خبايا مشاعرها وألوان انفعالاتها وأشكال تفاعلها مع أحداث الحياة"[1]، وعلم النفس "يدرس العمليات العقلية مثل الإدراك والتعلم والتذكر والتفكير وحل المشكلة والإبداع وغيرها"[2].

كما أن "الأدب في حقيقته، حديث نفس إلى نفس، وبوح وجدان إلى وجدان، ورسالة روح إلى روح ، بلغة هي في أصلها رموز لخوالج النفس، ووسيلة لقضاء حاجاتها نفعية كانت أم عاطفية، والأدب، بطبيعته، فعالية نفسية ونشاط وجداني، بواعثه نفسية، وتشكله نفسي، ومسلكه إلى المتلقي هو الحس والغريزة والوجدان: المكونات الأساس لمفهوم النفس".[3]

وعن العلاقة التي بينهما –الأدب وعلم النفس- نجد سيغموند فرويد يقول:"إن الشعراء والروائيين هم أعز حلفائنا وينبغي أن نقدر شهادتهم أحسن تقدير، لأنهم يعرفون أشياء بين السماء والأرض لم تتمكن بعد حكمتنا المدرسية من الحلم بها، فهم في معرفة النفس شيوخنا، نحن الناس العاديين، لأنهم يرتوون من منابع لم تتمكن بعد حكمتنا المدرسية من الحلم بها، فهم في معرفة النفس شيوخنا، نحن الناس العاديين، لأنهم يرتوون من منابع لم يتمكن العلم بعد من بلوغها"[4].

إذن كلاهما يدرس الإنسان وخوالجه؛ و"الأدب وعلم النفس يتواكبان في مسيرة واحدة، فالحديث عن أي ركن من أركان الأدب (الأديب-العمل الأدبي-القارئ)، يفضي بالضرورة إلى الحديث عن الحالات النفسية والوجدانية لدى المبدع والقارئ".[5]

رو افد المنهج النفسي الأدبي في القرآن الكريم:

مما لاشك في أن قبل التطرق للدراسات العربية نعرج إلى ما ورد في القرآن الكريم حيث وجد ماهو من روافد المنهج النفسي، ومن ذلك آيات القرآن الكريم التي تشير إلى ذلكم الأثر النفسي الذي يحدثه الكلام في نفس المتكلم والسامع كثيرة، ومنها قوله تعالى:"عبس وتولى : عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9)"[6].

وقد علق كريم صديق على الآيات الكريمة حين تحدث عن علاقة الأدب بعلم النفس بأنه حين "جلس النبي صلى الله عليه وسلم مع كبار رجال قريش وعرض عليهم؛ لأنه رجا من إسلامهم إسلام مكة كلها، وفي أثناء حديثه جاءه عبد الله ابن مكتوم الأعمى يسأل عن بعض أحكام الإسلام، فرصد القرآن الكريم الحالة النفسية للرسول، والتي لم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم كتمانها حتى بدت في ملامح وجهه، وهي رصد لحالة المتكلم النفسية وقتما جاء من يقطع عليه حديثه ويصرفه عن قصده، حتى أن انزعاجه وغضبه قد بدا ظاهرا في قسمات وجهه، وهي إشارة لطيفة إلى الأثر النفسي على المتكلم حين يعرض له عارض يصرفه عن الحديث"[7].

ويورد لنا أيضا كريم صديق مثالا آخر من حكاية نوح في القرآن الكريم حين قال تعالى"وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)(8).

وهذه الآية كما يرى- كريم صديق- هي أيضا دلالة على الأثر النفسي والسخرية حيث ذكر"فنوح صنع سفينة كبيرة على اليابس وبينه-كما يبدو-وبين البحر مسافة كبيرة، مما أدى إلى سخرية القوم من نوح، حيث أتى بما يتنافى مع حدود العقل البشري، ولكن نوحا الذي امتلأت نفسه ثقة بوعد الله قاطعهم في حسم بأن السخرية ستنقلب منهم إليهم حين يأتي أمر الله، وسخرية الكافرين وثبات نوح وثقته صورتان من صور إشارة القرآن إلى الأثر النفسي من خلال تناوله لدافع التكلم، فهؤلاء دافعهم السخرية وهذا دافعه اليقين بوعد الله"[9].

وهناك الكثير من الآيات والإشارات في القرآن الكريم من ملامح المنهج النفسي وأثر الخطاب على نفسية المتكلم والمتلقي من الحب والكراهية والنفور والخوف ..

رو افد المنهج النفسي الأدبي من السنة النبوية:

رو افد المنهج النفسي الأدبي من السنة النبوية:

.

عند العرب:

قبل أ ن نتحدث عن علاقة علم النفس بالأدب يجب إلى الإشارة أن "مفهوم الشعر في التراث العربي يرجع في أصل معناه اللغوي إلى عالم النفس الإنسانية؛ فالشعر من الشعور والإدراك" وفي تعريف الأزهري نجد"الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يشعر مالا يشعر غيره أي يعلم، وأنشد بعضهم:

شعرت لكم لما تبينت فضلكم على غيركم، ما سائر الناس يشعر"[10]

فلفظ الشعر إذن مرتبط بالمشاعر، والنفس وهذا م الاختيار للمصطلح لم يكن فوضويا بل لتوافه مع النفسية وعلم النفس ، وهكذا نجدا أن العرب انتبهوا لعلاقة الأدب وعلم النفس ،غير أنهم كانوا في بداية الأمر غير منطقيين لحد ما أو نستطيع أنهم كانوا يرجعون الأحوال النفسية لإنشاء الشعر إلى أمور غيبية من شياطين شعر ...

فقد "كانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقى على أفواهها الشعر، وتلقنها إياه وتعينها عليه، وتدعى أن لكل فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود، وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن أن ذكروا لهم أسماء، فقالوا: اسم شيطان الأعشى مسحل، واسم شيطان الفرزدق عمرو، واسم شيطان بشار شنقناق"،[11]وقد " استفاض الحديث عن علاقة الشعراء بالجن وسماعهم لهم وتلقيهم عنهم، وكان ذلك هو التفسير الأول التمايز الشاعر عن بقية الناس، وليس بعيدا أن يكون وصف الشاعر بأنه مجنون قد اشتق من علاقته المزعومة بالجن، ووصف الشاعر بالجنون لم يكن حينذاك يعني بطبيعة الحال أن الشاعر يعاني مرضا عقليا بقدر ما هو محاولة لتفسير قدرته الفذة التي خيل إليهم أنها لا يمكن أن تكون لبشر"[12].

فكانت هاته أوليات بداية التفسير عن مصدر الشعر ،والبيئة هي من فرضت عليهم هذا التفسير ، غير أن الأمر لم يبق هكذا وتطورت الدراسات التي تتعلق بالأدب وعلم النفس ، فنجدها في التراث الأدبي كما أسماها سيد قطب بالملاحظة النفسية ، وكان البحث المستميت حول الإبداع ومصدره ، وعلاقة الخطاب بالمتلقي أثره النفسي ويعد الجرجاني "من أوائل من التفت إليه فهو يقيس العمل الأدبي بمقدار تأثيره في نفس السامع، بما يحويه من عناصر إنسانية صادقة يكون لها

صدى في النفوس، وهذا اتجاه نفسي في النقد قل أن تجد له مثيلا عند النقاد الآخرين والحق أن صفة الإنسانية واضحة عند هذا الناقد في الكثير من اتجاهاته.

و إلى تلك الإنسانية نستطيع أن نرد الكثير من آرائه في النقد، ولعل تلك الصفة أوضح ما تكون في حرصه على أن يكسب مناظره، فهو لا يبدي رأيه فحسب، ولا يكتفي بالتعليل، بل يسلك إلى إيمان من يحاجه كل السبل:

فهو يعرض لمثل قول البحتري:

ألام علي هواك وليس عدلا إذا أحببت مثلك أن ألاما
أعيدي في نظرة مستثيب توخي الأجر أو كره الأثاما
تري كبدا محرقة وعينا مؤرقة و قلبا مستهاما

فيقول: ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح، و يستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظرك".[13]

فالجرجاني هو يتحدث عن نفسية المستمع أو المتلقي، وكيف للقصيدة أن تأثر في النفس وتصور لك أو تعمل خيالك لتصور ما تسمعه، وليدمغ حجته أضاف لنا أيضا قصيدة البحتري "مخاطبا القارئ فإن قلت هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به والهوى يسرع إليه فأنشد له في المديح قوله:

بلونا ضرائب من قد نري فما أن وجدنا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا ت عزما وشيكا ورأيا صليبا

ويورد الناقد تلك القصيدة الجميلة التي قالها البحتري في محمد الفاتح بن خاقان،حتى إذا انتهى منها لم يقف في محاجته عند ذلك الحد أيضا، بل عاد إلى القارئ يمعن في محاولة كسبه فيقول:

وإنما أحلتك على البحتري لأنه أقرب بنا عهدا ونحن به أشد أنسا، وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا، وإنما تألف ما جانسها وتقبل الأقرب إليها، وهكذا رأيناه يعني عناية شديدة بالأثر النفسي الذي ينتقل من خلال النصوص بما يكسوها من فنية الصدق، وروعة الأداء، كما يعني بإبراز المعالم الإنسانية التي ينضح بها أسلوب الشعر".[14]

فالجرجاني يهتم بالمتلقي ووقع اللفظة في نفس السامع وترتيب العملية النفسية من الإنشاء إلى التلقي للخطاب سواء كان " الكلم بيت شعر، أو فصل خطاب، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحكم-أعني الاختصاص في الترتيب-يقع في الألفاظ مرتبا المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل"[15].

فنحن إذن أمام" ثلاث مراحل:

العقل--------معاني النفس-----الألفاظ

ولما كان عبد القاهر يلح على القارئ في تذوق النص، فلنا أن نستنج أن المتلقي سوف يخوض نفس الطريق على نحو عكسي، وبهذا تكتمل دائرة الإبداع عند عبد القاهر الجرجاني على النحو التالي:

فعقل المبدع يكون قضية، تقوم بترتيب معاني نفسه، فتقوم المعاني بترتيب ألفاظ الرسالة، فيتلقاها المستقبل بحاسة الذوق، فترتب له معاني نفسه على ذات النحو الذي صدرت عنه، فيؤدي هذا إلى ترتيب قضية العقل على نحو يدرك به المستقبل ما يريده المرسل."[16]

ومن هذا المنطلق الذي سار عليه الجرجاني :"تظهر العلاقة في أمور ثلاثة: أولها رد كل شيء إلى العقل، وثانيها تصور النفس مزنا منظما للمعاني والقدرات، فهي ذاكرة وحواس، ويمكن ثالث هذه الأمور في الإجابة على سؤال: كيف ينم هذا الترتيب الفوري للمعاني والألفاظ أو بالملكات اللغوية النفسية.

وعندما يتعرض الباحثون لفكرة المعاني النفسية عند عبد القاهر ينبهون على تأثره كأشعري برأي الأشاعرة المصطلح عليه باسم الكلام النفسي، الذي قالوا به حين امتحنهم المعتزلة بالسؤال عن خلق القرآن، حين ذهبوا إلى سرمدية وأسبقية المعاني النفسية على ألفاظ اللسان، .. نظرية عبد القاهر نظرية الإبداع الفني تقوم على الموازاة بين مضمونات النفس وتنظيمات النص"[17].

-وقد استطاع النقاد "الذين فكروا في ظاهرة الشعر انطلاقا من شروح الفلاسفة لكتاب أرسطو في الشعر أن يطوروا الإشارات الكثيرة الموجودة في غيرها من كتب التراث والتي تؤكد إحساس أصحابها بخصوصية الشعر وأن ينظموها ليبرزوا الترابط الجدلي بين طبيعة الشعر ووظيفته، وأهم ما بنوا عليه تصورهم للشعر مصطلحا التخييل والحكاية فلقد أكد الفارابي في أكثر من موضع أن الشعر: يلتمس أن يخيل وأن غرضه :ايقاع المحاكيات في أوهام الناس وحواسهم".[18]

ومن بعض ملاحظات الباحثين على دراسات الجرجاني في علاقة الأدب بعلم النفس نجد أنه" أولى الباحثون عبد القاهر الجرجاني عناية كبيرة، ورأوا فيه أمورا متفاوتة،رأى فيه فريق منهم باحثا نفسيا مرموقا،...وربط دراسات عبد القاهر مع ابن طباطبا وابن رشيق وابن قتيبة بدراسات سيكولوجية التذوق ويرى باحث أن عبد القاهر قد تنبه إلى ما تنبه إليه بعده بمئات السنين باحثون من أمثال والاس ومدنيك وجيلفورد من أن الإبداع –وان لم يستخدم الجرجاني نفس المصطلح-هو النشاط النفسي الذي به يتوصل إلى الإنتاج الأفضل، من خلال مراحل ربما شابهت مراحل والاس ومن ذهبوا مذهبه-الفكر والروية والقياس والاستنباط-في الدراسات الحديثة، كما تنبه إلى ضرورة أن تستمر الفكرة-وهذا ما يطلق عليه مواصلة الاتجاه وفي مقابل هذا كله يذهب باحث آخر إلى أن عبد القاهر حاول أن يشرح الدلالات النفسية، لا أشكال التعبير، ولكنه في الحقيقة لم يتجاوز الظواهر الثانوية، فلم تتجاوز محاولته مرحلة تأكيد الدور الذي تلعبه النفس في تشكيل العبارة"[19].

ولقد كانت "توجد على المستوى العربي منذ زمن طويل اهتمامات واضحة من قبل النقاد والأدباء بالبعد النفسي للأدب، وقد تجلت هذه الاهتمامات في كتابات عبد القاهر الجرجاني خاصة في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ولدى ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ولدى الفارابي، وابن مسكويه وإخوان الصفا، وحازم القرطاجني، وغيرهم، فهناك إشارات وتصورات عديدة حول الإدراك والصور الذهنية والذاكرة والخيال والإبداع."[20]

في حين أننا نجد أن ابن طباطبا ربط الأدب علم النفس من خلال عملية الإبداع ويظهر هذا جليا في قوله:"فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخفى المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره فمرا،واعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني من غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت ه المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا لما تشتت منها، ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه، و نتجته فكرته فيستقصى انتقاده، ويرم ما وهي منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفة سهلة نقية"[21].

فقد "كانت أدوات عملية الإبداع معرفية محكومة بما أسماه كمال العقل، وهو ملكة مهيمنة على الفعل الإبداعي، ما عن آلية هذا إبداع فكانت حركة الطبع إلى الفكرة إلى النظم:تثير إرادة الإبداع الطبع فيدفع بالفكرة على عالم النظم بألفاظه، وأوزانه، قوافيه، وأصباغه، وحليه".

أما **حازم القرطاجني** فقد عول تعويلا كبيرا في كتابه:"منهاج البلغاء وسراج الأدباء"على فهمه الوظيفي للإبداع الشعري، فانتهت عناوين جميع المناهج الأبواب التي ينقسم إليها بعبارة من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها، لم يفلت من هذه العبارة منهج واحد، والدلالة الواضحة لها أن جميع مسائل البلاغة وقضايا الأدب، تستمد قيمتها من أنها تقضي

بالمبدع إلى التأثير في النفوس إيجابا أو سلبا، أما الإيجاب فيدفع النفس إلى طلب الشيء أو حبه، وأما السلب فيدفعها إلى الهرب منه أو كراهيته، وليس هذا الفهم الوظيفي إلا مظهرا من مظاهر الفهم التجريبي للإبداع".[22]

وقد لاحظ الدكتور عاطف جودة "أتباع حازم للمنهج النفسي القائم على فكرة الملكان، ورأى فيه نظرة جشطلتية، ونزعة ترابطية آخذة بفكرة التجارب واللحظات المنفصلة، المبنية على قانون التداعي ، وما ينظم من مباديء الزمان والمكان والعلية، في إطار مذاهب مذاهب المفكرين المسلمين في العصر الوسيط، وفي سياق الأخذ بأفكار نفسية وأخرى فلسفية، تؤول إلى مراكز الأعصاب وقوى الملكات، والاهتمام بتقويم الوقائع الجزئية، واعتماد الإدراك الحسي أصلا ينشيء خيال الشاعر من صور وتراكيب، بحيث يكون المخيل تبعا للإدراك، فان لم يكن الموضوع المتخيل قد أدرك من قبل، يخيل بأحواله اللازمة من حيث هي حسية مشهودة"[23].

ونجد ابن رشيق أيضا يرى في عملية الإبداع أنها ترجع لعوامل نفسية أو ما يسميها بالطبع- أو النفس ومدى تأثرها "الواقع في تعريف ابن رشيق فهم الإبداع الفني فهما نفسيا الطبع [24]".

فالعرب قديما إذن يروون أنه"ليس للجودة في الشعر صفة إنما هو شيء يقع في النفس عند المميز"، [25]وقد كان العرب قديما قريبين لحد ما ؛ لولا إتباعهم لمنهج ومصطلحات دقيقة لقلنا ما يتداوله المحدثين ، بحيث "يظهر التكامل بين علماء اللغة وعلماء النفس، فدور علماء اللغة هو تحديد الخصائص الأسلوبية للرسائل الاتصالية، ودور علماء النفس هو اختبار مدى الأثر الذي تحدثه إحدى هذه الخصائص بالمقارنة بالأخريات، وبهذا التكامل يمكن معرفة أي الأساليب أكثر تأثيرا في نفوس المتلقين"[26]

وقد ظلت عملية الإبداع الأدبي" تكتنفها التفسيرات الغامضة التي تدل على الحيرة إزاء هذه الظاهرة المتميزة، إلى أن جاء علم النفس وقدم دراسات علمية متعددة حول الإبداع الفني وقدم مفاهيم جديدة لعل أهمها أن العبقرية، انفعالات ذكية منظمة يتميز صاحبها بقدرة أكبر على عمليات التركيب والتحليل والربط والتنظيم عن بقية الناس، فالعبقري لا يختلف عن بقية البشر سوى في الدرجة، وفي مكتبتنا العربية دراسات رائدة في هذا المجال قام بالأولى مصطفى سويف بعنوان الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ثم تبعه تلميذه الدكتور مصري حنورة، بدراسات أخرى فكتب حول الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، ثم قام بدراسة أخرى حول الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية[27]، وهناك من يقول بأن النقد الأدبي برمته قد قام على أسس نفسية "[28].

أما في " تاريخ الدراسات العربية فقد كان الأستاذ محمد خلف الله هو صاحب الفضل إلا وفى في توثيق الصلة بين علم النفس كعلم وليس كثقافة فحسب ودراسات الأدب، وقد صادف توجهه هذا النجاح المأمول بفضل ما كانت البيئة الثقافية قد عرفته من جهود العقاد وطه حسين في هذا الميدان"[29].

وقد اعتبر محمد خلف الله أحمد "عام 1914 تاريخا لميلاد فكرة الاهتمام العلمي بالبعد النفسي في الأدب، ففي ذلك العام حصل طه حسين على الدكتوراة في الأدب عن أبي العلاء المعري، ووردت في هذه الدراسة وغيرها من دراسات طه حسين إشارات واضحة اهتمامه الملحوظ بالبعد النفسي في الأدب، وتجلى ذلك في كتبه حافظ وشوقي ومع المتنبي، ودراساته عن بشار وأبي تمام وابن الرومي في حديث الأربعاء، وغيرها"[30].

بعد ذلك" بدأ هذا الموضوع يأخذ مكانه في جدول الدراسات العليا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة في أواخر الثلاثينات من هذا القرن، وقام بالمجهود الكبير في هذا الشأن أمين الخولي وخلف الله أحمد وقد كتب أمين الخولي عام 1945 في العدد الأول من مجلة علم النفس مقالا بعنوان: علم النفس الأدبي، أشار فيه إلى العلاقات المشتركة والهامة بين علم النفس والأدب"[31].

من الأمثلة الشهيرة أيضا في هذا السياق؛"ذلك الإسهام الذي قدمه عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير النفسي للأدب، والذي أكد فيه أن العلاقة بين الأدب وعلم النفس لا تحتاج إلى إثبات، وكل ما تدعو الحاجة إليه هو بيان العلاقة وشرح عناصرها، وأن النفس تصنع الأدب، كذلك يصنع الأدب النفس، وقد قام عز الدين إسماعيل في كتابه هذا بالاستفادة من كتابات فرويد، خاصة الكبت واللاشعور، والتناقض وعقدة أوديب، وغيرها؛ في تفسير بعض الأعمال الأدبية، وأشهرها رواية السراب لنجيب محفوظ، وهاملت لشكسبير، وأيام بلا نهاية ليوجين أونيل ، وغير ذلك من الأعمال.

هناك أيضا تلك الجهود الخاصة في هذا الشأن، والتي قدمتها نبيلة إبراهيم في تفسير الأدب الشعبي، واستفادت من مفاهيم يونج عن اللاشعور الجمعي، والنماذج الأولية، ودراسة عبد المجيد حسن عن الأدب العربي القديم، التي عرضها في كتابه الأصول الفنية للأدب، وكتاب مصطفى ناصف رمز الطفل:دراسة في أدب المازني، وكتاب محمد زكي العشماوي قضايا النقد الأدبي والبلاغة، وكتاب بدوي طبانة التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، وكتاب إبراهيم سلامة تيارات أدبية بين الشرق والعرب، وكتاب أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب، ودراسة محمد خلف الله أحمد حول الموهبة الشعرية ووظيفة الشعر عند شوقي.

-في دراسته الرائدة حول الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة، كان تأثر سويف واضحا بالمعنى الجشطلتي في علم النفس، وخاصة من منظور كيرت ليفينk.lewin وشولسه وأصحاب نظرية المجال، وقد استخدم سويف في دراسته هذه أدوات منهجية هي تحليل المضمون والاستبيان أو الاستخبار والاستنبار او المقابلة، وتحليل المسودات، وتكونت عينة الدراسة من سبعة من الشعراء من مصر وبلاد عربية أخرى،"[32]

وهناك من يرجع" الانطلاقة الحقيقية للنقد النفسي، في العصر الحديث على يد جماعة الديوان1921م، ومن حذا حذوها من أساتذة جامعيين وأكاديميين، ولعل الطابع المميز لهذه الجماعة ومن جاء بعدها، هو الانكباب على دراسة شعراء متميزين تجلت في سلوكهم وفي شعرهم النزعة الفردية".[33]، ويعتبرون" عبد الرحمن شكري1866-1958،على الخصوص، من الرعيل الأول الذي استفاد من معطيات علم النفس دراسة الشعر، وتبعه عبد القادر المازني1890-1949م بمقال سنة1914م درس فيه شخصية ابن الرومي دراسة نفسية ثم عباس محمود العقاد1889-1964م في دراسة مماثلة للشاعر نفسه، ولأبي نواس وغيرهما، كما تناول محمد النويهي بالدراسة النفسية للشاعرين أيضا، ولم تخل دراسات طه حسين للمتنبي وأبي العلاء المعري من هذا النزوع النفسي، وأن انتقد بشدة الإسراف فيه.

وهكذا توالت في زمن هؤلاء الرواد وبعدهم الدراسات النفسية لشعراء تجلت فيهم وفي شعرهم النزعة الفردية.

ونستطيع على كل حال أن نتعقب ملامح نظرية النقد النفسي في النقد العربي الحديث من خلال ثلاثة محاور، يقوم كل محور منها مقام الفصل:

1- دراسة شخصية الشاعر.
2- دراسة عملية الإبداع.
3- دراسة العمل الأدبي."[34]

ويعد العقاد كمثال "أحد تبنوا بالدراسة النفسية شخصية الشاعر أو الأديب؛ إذ تناول ما يربو على الثلاثين شخصية من القديم والحديث، وفي مختلف الحقول المعرفية: شعرية، وأدبية، وفكرية، وسياسية واجتماعية...فضلا عن سيرته الذاتية.

وتقوم الدراسة البيوغرافية للشعراء والعباقرة، عند العقاد على المقومات الآتية:

1- رسم الصورة النفسية والجسدية.

2- استنباط مفتاح الشخصية.

3- أما الدراسة نفسها، فتعتمد على منحيين اثنين أولهما: المنحى النفسي الفني، أو السيكوفني، ثانيهما: المنحى النفسي الجسمي أو السيكوسوماتي"[35].

أم عند رجوعنا لسيد قطب عندما يتحدث عن الدراسات العربية الحديثة فيربطها بالتأثر بالغرب وقطع الصلة بالعرب إلى دراستين حسب قوله والذي يتضمن الآتي:"وقد فطن إلى قدم الملاحظة النفسية في الأدب العرب باحثان فاضلان عرض لبعض مظاهرها إجمالا بالقدر الذي اعرض لها الآن،...الأستاذ أمين الخولي، وقد نشر فصلا في المجلد الرابع من الجزء الثاني من مجلة كلية الآداب سنة1939 بعنوان البلاغة وعلم النفس، والدكتور محمد خلف الله، وقد نشر فصلين في هذا الموضوع، أولهما عن التيارات الفكرية التي أثرت في دراسة الأدب في المجلد الأول بتاريخ مايو سنة1943 من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، والثاني عن نظرية عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة في المجلد الثاني من المجلة نفسها سنة 1944.

وحديث الأستاذ الخولي في هذا الموضوع كان لفتة سريعة في ثنايا دعوته لاستخدام علم النفس في دراسة البلاغة"[36].

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى أن علاقة الأدب بعلم وجدت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وذلك من خلال رصد نفسية المتلقي للخطاب، وعن العرب فإنه كانت هناك محاولات منذ العصر الجاهلي لإيجاد مصدر الإبداع والتي رأينا أنها بادئ الأمر كانت تسند لأمور غيبية وشياطين ثم تطورت الحياة العقلية وبدأ النقاد في البحث على أسباب منطقية ليصل بهم الحال إلى دراسة أصل الإبداع ومدى تأثيره على المتلقي لنجد أنفسنا أمام ثلاث أقطاب المبدع والمتلقي ونص الخطاب وكل هذا لا يتم إلا عن طريق عملية نفسية وعقلية كما رأيناها عند الجرجاني ومن بعده ، ثم ذكرنا أهم الدراسات الحديثة التي تناولت علاقة الأدب بعلم النفس من نقاد محدثين ودراسات أكاديمية بداية من أحمد خلف الله والمدرسة الرومانسية إل يومنا هذا ، وحاولنا إظهار مدى أثر هذه الدراسات في النهضة الأدبية.

وفي التوصيات لا يسعني إلا أن أقول إن هذا الموضوع يطول الحديث فيه وقد اختصرنا منها إلى درجة التقليص، و نرجو من الباحثين النظر والبحث في هذا المجال سواء في القرآن الكريم والسنة، أو عند العرب قديما وحديثا، لأنه موضوع يستحق الغوص فيه.

المراجع:

- ابراهيم، شوقي وآخرون. 2008.علم النفس في التراث الإسلامي. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط1.
- ابراهيم، مصطفى عبد الرحمان. 1998. في النقد الأدبي القديم. مكة للطباعة.
- اسماعيل، عز الدين. 1962. التفسير النفسي للأدب. دار العودة ودار الثقافة. بيروت..
- بومنجل، عبد الملك.2011. المدخل النفسي لعلم الأدب قراءة في حدود التفاعل بين الأدب وعلم النفس. عدد 10. مجلة علم النص.
- توفيق، مجدي أحمد. 1993.مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
- الثعالبي. 1965. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تح: ابراهيم، محمد أبو الفضل، نهضة مصر.
- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة للجرجاني، ع: شاكر، محمود محمد. دار المدني. جدة.

- جودة ،عاطف. الخيال مفهوماته ووظائفه. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
- السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي -سنن أبي دود-تح: الأرنؤوط، شعيب.ط 1 ،2009، 1430. دار الرسالة العالمية، ،ج7.
- صديق، كريم. 2015. المنهج النفسي في النقد الأدبي. دار الأمل للنشر والطبع.
- صمود، حمادي . 1990. في نظرية الأدب عند العرب. النادي الثقافي. جدة..
- عبد الحميد، شاكر و عبد الله معتز سيد و سيد يوسف جمعة. دراسات نفسية في التذوق الفني. الكتب العربية .
- عبد الحميد،ابراهيم شوقي وأبو سريع، أسامة سعد و عبد المنعم، الحسين محمد و يوسف، سيد جمعة و رضوان ، شعبان جاب الله و محمد ، طريف شوقي و خليفة، عبد اللطيف محمد و محمود، عبد المنعم شحاته وشلبي، محمد أحمد و الصبوة، محمد نجيب و عبد الله، معتز سيد .2003. علم النفس في التراث الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- -عبد الحميد ،حنورة.1986.الأسس الفنية للإبداع الفني في المسرحية. الهيئة العامة للكتاب.
- عبد الخالق، أحمد محمد.2000 . أسس علم النفس. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.
- العلوي، ابن طباطبا. 2005. عيار الشعر. تح: عبد الساتر ، عباس . دار الكتب العلمية. لبنان.
- القيرواني، ابن رشيق. 1996. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج1. تح :صلاح الدين الهواري. هدى عودة . دار ومكتبة الهلال . بيروت.
- الماضي، شكري عزيز. 1993. في نظرية الأدب. دار المنتخب العربي. بيروت.
- محمد الجوادي 12.11.2024.شبكة الجزيرة العربية www.aljazeera.net.
- محمد ، سويف .1951. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر . دار المعارف بمصر.
- المختاري ، زين الدين. 1998. المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجا. منشورات اتحاد العرب.
- نويل ، جان بيلمان. 1997. التحليل النفسي والأدب، تر: المودن ؛ حسن. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة.
- شاكر عبد الحميد، وآخرون: دراسات نفسية في التذوق الفني، الكتب العربية.
- قطب، سيد. 2003. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. دار الشروق. مصر.ط.3.
- ابن منظور. لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط3،ج4.

الهوامش:

[1]– بومنجل، عبد الملك.2011. المدخل النفسي لعلم الأدب قراءة في حدود التفاعل بين الأدب وعلم النفس. عدد 10. مجلة علم النص. ص154.

[2] - عبد الخالق، أحمد محمد.2000 . أسس علم النفس. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. ص20.

[3] - بومنجل، عبد الملك. المدخل النفسي لعلم الأدب قراءة في حدود التفاعل بين الأدب وعلم النفس. ص154 .

[4] - نويل ، جان بيلمان. 1997. التحليل النفسي والأدب، تر: المودن ؛ حسن. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. ص7.

[5] - الماضي، شكري عزيز. 1993. في نظرية الأدب. دار المنتخب العربي. بيروت. ص133.

[6] -سورة عبس: الآية1-9.

[7] - صديق، كريم. 2015. المنهج النفسي في النقد الأدبي. دار الأمل للنشر والطبع. ص33.

[8] - سورة هود الآية: 38-39 .

[9] - صديق، كريم. المنهج النفسي في النقد الأدبي. ص34.

[10] -ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج4، ص410.

[11]-الثعالبي. 1965. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تح: ابراهيم، محمد أبو الفضل، نهضة مصر. ص70.

[12] - اسماعيل، عز الدين. 1962. التفسير النفسي للأدب. دار العودة ودار الثقافة. بيروت. ص27.

[13] - ابراهيم، مصطفى عبد الرحمان. 1998. في النقد الأدبي القديم. مكة للطباعة. ص175.

[14] - المرجع نفسه. ص175.

[15] - الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة للجرجاني،ع: شاكر، محمود محمد. دار المدني. جدة. ص3،2.

[16] - توفيق ، مجدي أحمد. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم. ص208.

[17] -المرجع السابق :ص 209.

[18] - صمود، حمادي . 1990. في نظرية الأدب عند العرب. النادي الثقافي. جدة. ص 139 .

[19] - توفيق ، مجدي أحمد. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم. ص 204 ،205.

[20] - عبد الحميد، شاكر و عبد الله معتز سيد و سيد يوسف جمعة. دراسات نفسية في التذوق الفني. الكتب العربية . ص 49.

[21] - العلوي، ابن طباطبا. 2005. عيار الشعر. تح: عبد الساتر ، عباس . دار الكتب العلمية. لبنان. ص 8،7.

[22] - توفيق، مجدي أحمد. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم. ص250.

[23] - جودة ،عاطف. الخيال مفهوماته ووظائفه. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. ص180، ص188، ص189.

[24] - توفيق، مجدي أحمد. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم . ص292.

(25) - القيرواني، ابن رشيق. 1996. العمدة في محاسن الشعروآدابه. ج1. تح :صلاح الدين الهواري. هدى عودة . دار ومكتبة الهلال . بيروت. ص119.

[26] - عبد الحميد،ابراهيم شوقي وأبو سريع، أسامة سعد و عبد المنعم، الحسين محمد و يوسف، سيد جمعة و رضوان ، شعبان جاب الله و محمد ، طريف شوقي و خليفة، عبد اللطيف محمد و محمود، عبد المنعم شحاته وشلبي، محمد أحمد و الصبوة، محمد نجيب و عبد الله، معتز سيد :200.. علم النفس في التراث الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ص628.

[27] -نجد أن محمد سويف لايتعد عن المنهج الأقدين إذ نجده يبحث عن مصدر الإلهام والابداع ، دار المعارف بمصر،سنة1951،لأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر المسرحي تأليف مصري عبد الحميد حنورة،صدر عن الهيئة العامة للكتابسنة1986، وكان بداية مقدمة سؤال الدراسة الحالية هو:كيف يقوم المبدع بإبداع مسرحية شعرية،ص3،

(28) - شكري عزيز: نظرية الادب ،ص134.

(29) - محمد الجوادي 12.11.2024.شبكة الجزيرة العربية www.aljazeera.net.

[30]- شاكر عبد الحميد، وآخرون: دراسات نفسية في التذوق الفني، الكتب العربية،ص49.

[31] - المرجع السابق: ص50.

[32] -المرجع السابق: ص72.

[33] - المختاري ، زين الدين. 1998. المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجا. منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص6،5.

[34] -المرجع السابق: ص19.

[35] - المرجع نفسه: ص19.

[36] -قطب، سيد. 2003. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. دار الشروق. مصرط.3. ص219.